

هكذا أنا

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر

القاهرة - ش الشيخ معروف من شارع

شمبليون عمارة ج-وسط البلد

تليفون: +20225743534

البريد الإلكتروني: arweqhxxx@gmail.com

arweqhxxx@outlook.com

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

الطبعة الأولى

2015

أروقة

عبد المجيد التركي

هكذا أنا

شعر

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر

محتوى هذا الكتاب لا يعبر بالضرورة عن رأي مؤسسة أروقة
وتوجهها؛ بل يعبر عن رأي المؤلف وتوجهه.

أشعر أنني بداخل حوصلة عصفور،
لم تعد هناك جهات..
سأبيع قسطاً وافراً من الليل
وأبتلع التعاويذ،
سأضع عينيَّ في عُلبة أنيقة
كي لا أشغل نفسي بتحريك جفني..
ستكون هناك فتحتان كبيرتان في وجهي
مثل أفلام الرعب،
لا يهم..
سأحشوهما بالقطن
أو سأرتدي نظارة شمسية تليق بشبح..

الرؤية ضبابية كأنني بداخل سيارة إسعاف،
ليس هناك مرآة تعكس ما أتوهمه على جانبي الطريق..
حتى أشجار الرصيف
تبدو وكأنها فزاعات لا تخيف أحداً.

ها أنا ذا أشيع روحي إلى مثواي الأول..
الجنة رائعة، لكنها محفوفة بالمكاره،
سأحتاج عكازاً لوقت طويل،
وأشرطة لاصقة لإخفاء قصائدي..

أبكي كأهل كربلاء،
الدمعة في متناول يدي
أصبح دمي مالحاً كمرقة،
كم أحسد هذه المرققة،
صارت تعيش في علبة أنيقة
وتعرف متى تنتهي صلاحيتها
بدلاً من كوابيس الثعالب المولعة بالدجاج..

هكذا أنا
مكشوفٌ كسُبُورة
وغامضٌ كقاتلٍ تسلسلي..
حين لا أجد ما أفعله
أمسحُ على رأسي
كما يفعل المحسنون
في دار الأيتام
أنكسُ قلمي السائلَ
لأرى كم بقيَ فيه من الحبر..

اعتيادُ لا أكثر،
كاعتيادِ خطيبِ الجمعةِ
حين يدقُّ المايكرفون بأصبعه
ليتأكد من صدى انفعالاته التي تعملُ بالكهرباء..
كاعتيادِ مُدرّسِ النّحوِ
وهو يهزُّ عصا الرّمّانِ الرّفيعةَ في الهواء
لتُصدرَ صوتاً حاراً
يشبه صوتَ الريح
حين تدخلُ من شقوقِ النافذةِ
وهي في عَجَلَةٍ من أمرها..

لستُ حدثياً جداً
لا آكلُ بالشوكة والسكين
فأنا لستُ بصدد دخول معركة،
ولا آكلُ بالملعقة
رغم كلمة الترحيب المحفورة عليها
أقول لنفسي:
أهلاً وسهلاً
وأضع الملعقة جانباً
حين أراها مصابةً بالتهابات اللثة..

أتقياً أسئلة العابرين
كي لا أصاب بعسر هضم
لم يعد لديَّ مخزونٌ كافٍ
لمقاومة بكتيريا الأسئلة
أشعر أن حيويتي مضادة للحياة..

المرأة البشعةُ تحرَّكُ قلبي في فنجانها كما لو أنها تحرَّكُ
قطعةَ سُكَّرٍ
تقول لي قارئة الفنجان:
اليوم ليس يوم حظِّك
قد يكون الجهاز مغلقاً
أو خارج نطاق التغطية..

أنا صديقي الوحيد..
حين أضع رأسي على المخذة
أحكي لنفسي حكايةً
كي لا أتذكر البقال
والجزار

وكمّاشة وزارة الكهرباء..
لم أعد أتذكر من رواية "مائة عام من العزلة"
سوى الثلاثة الأيام بداخل الكوخ،
وعصير المشمش المدهون على جسدٍ
يتمدد تحته الخشب لشدة حرارته..

ثلاثة جدران تكفي
كي لا أشعر بالوحدة..
أسترخي كحبل غسيلٍ مُثْقَلٍ بِمُومِ الصابونِ،
الجريدةُ تقول إنَّ كلَّ شيءٍ على ما يرام
أُصدّقها مؤقتاً
لئلاَّ أضطربَ لابتلاعِ قرصٍ منومٍ..
أتابعُ المباراة
رغم أن مفاصلي لا تسمحُ بذلك
فأكتشفُ أنني لا أشجّع أحداً..

أستيقظُ على صوتِ خطيبِ الجمعة،
لم يعد يتحدث عن السياسة
منذ احترق منزله
بماسٍ كهربائي..
صار يتحدث عن نعمة الشوارع المسفلتة
ويشيد بالمناهج المدرسية،
ولا ينسى تذكيرَ الناس بفوائد السفر الخمس
كأنه يروّج لباصات النقل البرّي..

لهبُ الشمعة يغري بالتأمل ..

أمرُّ أصابعي على اللهب

فأتذكّر ذلك الزاهد

الذي وجد نفسه في غرفةٍ مُغلقةٍ

بصحبة امرأةٍ كلُّ ما فيها يقول له:

هيتَ لكّ ..

رائحةُ شواءٍ أصابعه كانت تُذكره بجهنّم

وهو يقلّبها على نار الشمعة بقلبٍ بارد!!

شتانَ بين ما يعتبره مصادفةً سيئةً

وأعتبره أنا ضربةَ حظّ ..

يدي اليسرى تذكرني بطيبة الجلد الأوكرائية..
لا أحد يدري حتى اللحظة
أنني غمستها في الأسيد عمداً
لأحظى بلمساتٍ لا إرادية من الطيبة
وهي تلفُ الضُّماد على يدي
بحذرٍ شديدٍ كي لا تلمسها..

أشياء كثيرة تتساقط منّا أثناء نومنا،
أحلامٌ تفرُّ خشيةً أن يلتقطها الصّحو
ومخدّاتٌ حُبلى بالكوايس..
كملجأٍ للنسيان.. لم يعدِ النومُ آمناً،
ستوقظك الذكرى بعنفٍ جلاّدٍ مبتدئ،
وحين يصبحُ لسانك قطعةَ خشبٍ
ستبحثُ عن خيطِ اللّعبِ
الذي كنتَ تقطعه بالمنديلِ
كلّما أحسستَ ببرودته..

كلّ صباحٍ
أُتفقدُ قدميَّ
لأدحضَ حُلْمَ العكّازين
الذي أراه كلَّ مساء..
أحدهم قال لي:
إنّ العكّازين هما امرأتان صالحتان..
تجهّم حين سأله:
صالحتان لماذا؟

أَقْرِّرْ أَلَّا أَغْسَلَ وَجْهِي هَذَا الصَّبَاحَ
تَجَنُّبًا لِلرَّتَابَةِ،
أَقْرِّرْ أَلَّا أَرَى وَجْهِي فِي الْمِرَاةِ
كَيْ لَا أَسْتَهْلَّ يَوْمِي بِالْبُصَاقِ،
أَنَا وَسَيِّمٌ بِمَا يَكْفِي
لِجَذْبِ امْرَأَةٍ فِي الْأَرْبَعِينَ..

الأربعون:

الفاصلة بين النضج والتلف..

بين بلوغ الذروة

وابتداء العدّ التنازلي..

الأربعون:

شروحٌ مُيسّرة لطلبةٍ أذكياء..

الأربعون:

تحفيضاتٌ هائلة..

الأربعون:

توقيتٌ مناسبٌ لترتيب محتويات الصندوق الأسود..

فروقاتٌ كثيرةٌ بيني وبين صورتي أعلاه..
يقولون لي:
الصورة أجمل من الأصل..
لم أعد أبدو جميلاً إلاّ في نظر الكاميرا فقط،
ربما لأنها بعين واحدة!!

ليس لديّ اليوم شيءٌ لأفعله..
سأخسر صديقاً جديداً
أنتقيه عشوائياً
بعيداً عن الترتيب الهجائي
حتى لا يشعر أحدٌ بالمفاضلة..

أصدقاء ورقيون
كلما اتكأتُ على أحدهم سقط..
حالة ورقية
لم أكتشفها مؤخراً،
كنت أوجل هذا الاتكاء لمناسبة
تبرّر الاحتفاء به..

الأصدقاء دمة كبيرة
يفقأ العين خروجها..
أحرى بنا
أن نبحت عن مخارج أخرى
لهذه الدمة
كي لا نصاب بالعمى..

أصدقاء

مثل (حليب رُصَابَة)

صالحون ليومٍ واحدٍ فقط..

غادرون مثل الولاعات الصينية

حين تكون رئتاك في أمسّ الحاجة لومضةٍ واحدة..

يغادرونَ من ذاكرةِ هاتفي
مكتظّينَ بلحومٍ مذبوحةٍ
خارجَ المسلخِ
وخارجَ دفترِ الدُّيونِ أيضاً..

لا يعرفون شيئاً عن البوصلة،
فهم يذبحون باتجاه أيِّ قبلةٍ
يولُّون شطرَها
ويجدون وجوههم فيها..

يتناسلون كالطَّحالب
لكنهم لا يتعلَّمون منها
معنى التَّقيّة..

يؤمنون ببعض الكتابِ
ويكفرون بأكمله..
يُرمّمون قهالكهم
بقصائدٍ ناضجةٍ بالفضيحة
رغم كتابتها على طريقة:
"لا يسلمُ الشرفُ الرفيع"!!

انحدروا من قُمصانٍ
خِيطَتْ لبقى مُعلّقةً على مشاجبهم،
ومرايا شاهدة على صخب المسافة بينهم
وبين القمصان المتناوبة
على عُري المشاجب..

تباعاً ثقافزوا من رحم التاريخ
كطلقاتِ فارغة..
كلُّ له فاتِحُه ومفتاحُه،
حاملينِ راياتٍ متوارثةً
وخرائطَ رسمها آباءُ مؤقتون
كلُّ طُرقها تؤدي إلى عُنق الزجاجة..

يعلّقون على شجرة العائلة سلالاً من الفواكِه
ليكتبوا على كلِّ واحدةٍ منها
اسمَ جدِّ عظيمٍ تمَّ اكتشافه مؤخراً،
لكنها لا تلبث أن تتساقط
كأجنّةٍ طارئين
تم دفنهم بين نفايات المستشفى..

يغلّفون وجوههم كالدفّاتر
لكنهم لا يتعلمون منها
استقامة السطور..
السطورُ خطوطٌ متوازية،
وكذلك هم حينما يكونون مع الحقيقة
كفرسيّ رهانٍ..

ثمة مرايا تُحدّق في وجهي..
تؤكد لي أنني لست أنا
رغم كلّ البطائق التي تملأ جيوبي!!

أصدقائي يأكلون العيش
ويتركون لي الملح،
ويزعمون أن بيننا قاسماً مشتركاً..
في قاعة العزاء
سيجتمع أصدقائي
لترديد محاسني التي لا أذكرها..
سيخرجون هواتفهم
ليمسحوا رقمي..
رغم أن كل ما يصلني منهم
"يرجى الاتصال بي"!!

أخذلُ نفسي بتناقضاتي..
متحفزٌ ومُحِبَطٌ في آنٍ
كسيارةٍ إطفاءٍ تلهثُ من العطش..
أنا متعبٌ جداً
ووحيدٌ جداً،
أحدّقُ في الفراغِ دون هدفٍ محدّدٍ
كما لو أنني أتأملُ عناصرَ الهواءِ
التي لا يقدرُ على رؤيتها أحد..
تماماً كما يُحدّقُ رجلٌ أعمى
في الكلماتِ المتقاطعة..

فكّرتُ أن أفقأ عينيَّ
لكي أحفظ القرآن
والمعلّقاتِ السبع،
وأصبح فيلسوفاً كالمعرّي
وشاعراً كالبردؤني
وكاتباً كطه حسين،
رغم أن طه لا يروقي كثيراً..
عدلتُ عن فكريّ
حين قرأتُ أن أحد المتصوّفة
فقاً إحدى عينيّه لأنه لا يحبُّ العبث،
وعينٌ واحدةٌ تفي بالغرض..

البرد يلُفني كقطعةٍ أثريةٍ قديمة،
بابُ الغرفة يصطكُ
كأنه يشكو ألماً في مفاصله
التي لم يعد زيت الخروع يهدئ من صريها،
وزجاجُ النافذة الوحيدة يتشنجُ كأن به مساً..
يا ابنة الشمس:
الدُّوارُ
لا ينفكُ عن رأسي المليء بأحلام الدفء
والنارُ
لم تعد تقوى على هضم الحطب القطبي..

ها أنا أقف في المنطقة الفاصلة بين الليل والنهار
كديك أبكم ما زال يتعلم لغة الإشارة..
أنصت للعصافير وهي تغني ألحاناً مُرتجلة
أواجه البرد بدرع كبير من الصوف،
أرتعش كقلعة عارية على رقعة الشطرنج،
أحسد المشائين في الظُّلم على ابتسامتهم الدافئة في وجه
البرد..

البيجامة ترتعش من البرد بداخل خزانة الملابس..
الصوف ينكمش على نفسه بانتظار استرخاء الصيف،
أدهنُ وجهي بكريم "نيفيا"، فتثير رائحته كلّ الذكريات
المدفونة..
أخرج يدي من النافذة

بانتظار أن تطول مثل "يد وحيد"، لتصل إلى الحي
المجاور..
سأترك يدي في النافذة

وأعود لها في الصباح كي لا أتجمّد.

أفركُ عينيَّ بيدٍ مرتعشة، وكُمِّ متجمد..
أتذكر جارتنا التي كانت تربي الثلج فوق سطح
متزلها،
في الصباح الباكر نجد أواني المطبخ مليئة بالثلج الذي
كنا نلعه
ونحن نتخيّل الآيس كريم..

ها أنا ذاهبٌ إلى الجريدة، رغم أن ذلك لا يهم..
أرتدي نصفَ خزانة الملابس
وأمشي مثل نعمان في مسلسل "افتح يا سمسم"،
أغمس أصبعي في الماء وأخرجها سريعاً
كمن يختبرُ سلكاً كهربائياً،
أكتفي بدهن وجهي وأؤجل موضوع الغسل..
السخَّان يقوم بعمل مقدس
وهو يحاول فكَّ طلاسَم البرد
وترجمة ما تقوله الأسنان التي تصطكُ دون توقف،
كمذاياعٍ منسيّ..

يا لهذا البرد..
أختبئ مثل سلحفاة خائفة،
المنبه يتصرف مثل نائحة مبتدئة..
سأندرع بكأس كبيرة من البنّ، ستتكسر بداخلي،
وسأجري إلى الصحيفة لأوقع في حافظة الدوام بيدٍ
مرتعشة
كمن يوقع على استلام جثة،
مع أن توقيعاتي ليست مهمة إلى هذا الحد..

مخدّات مكتظة بريش النعام
لكنها لا تجلب النوم..
أَتَحْيَلُ النعامة وهي تتعرض للنتف
ثم تعود عارية
تبحث عن حبل غسيل لتسرق لحافاً
تواري به سوأة البرد..

كان الحطبُ فاكهةَ المساكين في ليالي الصقيع،
وكانت الشمسُ هديةَ الله
التي لا يلبثون أن يتأففوا منها وقتَ الظهيرة،
أمّا الجيران
فكانوا يحيون بعضهم بالسُّعال
حين يلتقون بالصدفة..

ليس لهذا البرد زوجةً تضمُّه كي يُخفف سطوته،
وليس له أقدامٌ مُشَقَّقةٌ يخيفُ بها الأطفال
كما يفعل آباؤهم
حين يعبثون بتلك الشقوق بأصابعٍ شاردة..

الصالة الصغيرة تحولت إلى ملعب كرة ..
امتلأت عتبات الأبواب بالمتفرجين،
أطلُّ من باب الغرفة لأراقب المباراة،
وحين لا يحرز أحدهم هدفاً أدلقُ دلو ماء
فأسمع صراخهم وهم يتساقطون في جحيم المواسير..

سلة المهملات مليئة بالأسماء والمياه الزرقاء،
الأمواج تتشكّل في تلك السلة المثقوبة..
أرسم خطأً مستقيماً فأجده قد تكوّم على نفسه،
ألكّزه فيزحف كدودةٍ أكلت طناً من الخضروات..
لم يعد بإمكانى مسحه، كي لا يلطخ الجدار بدمائه
الخضراء..

ذكرىاتي مع الديدان كثيرة، لا أريد أن أذكرها الآن،
لا أحد يسمع صرخاتها تملأ الفضاء وهي تخشى أن
تسقط من مناقير الغربان..

الصالة مليئة بالفوضى
أقترب من الشلاجة بأقدام مشلولة.....
أجد بداخلها رأساً طازجاً
ويدين مقطوعتين تغسلان سكيناً
ودمية صغيرة ترتعش من البرد،
وخيط عنكبوت يتدلّى من أضيق الثقوب..
يا مكان هذا العنكبوت أن يتخلّى عن فكرة بناء بيت،
هناك سرير شاغر،
ولن يضطر إلى النوم معلقاً بانتظار الذباب..

حين يصبح مزاح الأحلام ثقيلاً،
يتدلّى عنكبوتٌ ضخمٌ من الجحيم
ويحط على كتفك، كنجمة عسكرية،
وأنت في مكان شبه مظلم..

يراك العنكبوت بعينه الصغيرتين كجبلٍ ضخم،
بينما تُصاب بالشلل لو أطلَّ من ياقة قميصك،
أو سقط إلى هاوية ظهرك..

الحديث عن العناكب ليس مناسباً الآن،
ما زال اليوم في بدايته..
ربما خرج عنكبوت خرافي من تحت الإسفلت والتهم
السيارات والبيوت،
كما يحدث في أفلام هوليوود..
وربما غلّف المدينة بخيوطه وحملها على ظهره كزوّادة
ليثبت لنا أن هناك عوالم أخرى لم تخطر على بال فيلم..

شموعٌ كثيرةٌ أحشدها في موقد رُوحِي
درءاً لذنابِ الألمِ وأوجاعِ التذكُّرِ..
كأنني شجرةٌ عاريةٌ
نبَتَ في مكانٍ مصدّاتِ الثلوجِ
وهي لا تصلحُ لتلكِ المهمّةِ..

أحتاج إلى جاكيت بأربعة أكمام..
أحتاج إلى ثوب قصير للطفل الذي بداخلي..
أحتاج إلى سكّين لأقوم بإعادة بعض المشاهد التي رأيته
في فيلم إسماعيل..
أحتاج إلى هُمرٍ سريع لأضع عليه علبة مليئة بالرماد
وشعّة مجوسية لا تنطفئ..

كجنديٍّ يحدث نفسه بالخروج من حقل ألغام
ويتوسَّل بآلهة لم يتَّصل بهم من قبل..
كإمامٍ يُصَلِّي بالفراغ، رغم خشوعه الذي يكاد
يقتله..

كسمكةٍ تلفظ آخر أنفاسها
وتتوسَّل الصياد أن يخرج السَّارة من فمها
كي تقول أمنيته الأخيرة..
كعجوزٍ يعرف أن أسنانه لا تصلح أن تكون كسَّارة
جوز،

كأسدٍ فقد مخالفه فاضطَّرَّ إلى ارتداء جوارب،
كحمارٍ نسي أن يتصنَّع الموسيقى وهو يتحدث،
كحلمٍ مليء بالجنث وخيالات جرحى الألغام
الذين يحملون أشلاءهم..

أشعر أني ثقيلٌ كسائقٍ أبكم..
ثقلٌ كسيجار كوبي في يد مدخنٍ مبتدئ،
ثقلٌ كواجب مدرسي،
كماءٍ مليءٍ بالطحالب،
كحوتٍ عملاق لا يتسع له حوض زجاجي،
كشبحٍ يتحدث عن ضرورة الريجيم...

كمن يحتفظ بجمجمة طمعاً في أسنانها الذهبية،
كمن يُهدي زلّاجة لرجل مُعاق..
كعبث السؤال عن الأمنية الأخيرة لرجل محكوم عليه
بالإعدام..

كسذاجة هذا الرجل حين تكون أمنيته الأخيرة تدخين
سيجارتين على نَفَس واحد..
كأنا حين أكتب هذه الكلمات الآن..

أكتب الآن وبداخلي رجلٌ ثمانينيٌّ
يدخنُ سيجارةً طويلةً بأصابعٍ مرتعشةٍ
وفمٍ خاوٍ يتذكّرُ بدايةَ معرفتهِ بأسنانه اللَّبنِيَّةِ..
كغريقٍ يحاولُ أن يتذكّرَ كلَّ شيءٍ،
وهو يعلمُ أن الوقتَ المتبقيَ لديه ليس كافياً لأخذِ نَفَسٍ
طويلٍ
كي لا يموت وهو يلهث..
وليس كافياً لخلعِ ملابسه ليلقى اللهَ متخفِّفاً من كلِّ
شيءٍ..
شيءٍ..

الرجل الذي أحمله بداخلي
يتوقّف لألحق به وأصبح من أترابه..
أتقمّص شخصيته
وأسعل كثيراً مثله،
وأخيّى البلغم في منديل قطني كبير
كمنديل حسن عابدين الذي كان يمسح به صلته
وهو على خشبة المسرح..

أريد أن أستعيد وجهي..
تعبتُ من الأقنعة،
لم أعد أعرف من أنا..
أضعتُ وجهي بين كوم هائلٍ من اللّوحات
كل يومٍ أجربُ وجهاً جديداً فأكتشف أنه ليس لي..
أكره الاكتشافات هذه
كما أكره كلمة "لا مندوحة"
التي يتعمّد أحدهم قولها ليسبب لي الغثيان..

الغثيان حالة مزمنة،
تُشعري أن هذا الذي في فمي ليس لُعابي،
كم هو مقرفٌ هذا الشعور..
هي هواجسٌ مراهقةٌ لم أع شيئاً عنها،
فقد كنتُ تحت المراقبة كأَيِّ مراهق
يعاني كتباً موثقاً بأحاديث ذكورية..

تساؤلات كثيرة
كان يقيمعني فقيه القرية حين أنشرها في طريقه
وكأنها ستحول بينه وبين الله:
كيف يمتلئ ماء الجامع بالقشعريرة
حين يمشي عليه الشتاء كأقطاب الصوفية!!
كيف يتسلل إلى رئاتنا ليخبئ فيها مؤونته من السعال!!
لماذا لا يصلّي البرد كي يتهدّب قليلاً!!
تساؤلات طفولية
يخاف الفقيه إجاباتها
وكأنها نوع من الإلحاد البريء!!

كهذا الليل أنا..
بليدٌ حين أتوقف أمام علامة استفهام وأحاول أن أتوكأ
عليها،
حين أمشي بمحاذاة صديقين يقتسمان رسالة دافئة من
امرأة واحدة،
حين أجد فاعل خير يحمل دلو ماءٍ ليسقي عمود
الإنارة..

أتمرّن على التحديق في الأشياء،
أحدّق دون أيّ هدف سوى التثاقل على اللحظة
التي ترفض المرور دون تكلفة..

أحدّق بداخلي كأنني أضع عيني في ثقب الحوانيت
القديمة:

ظلام..

نظارة عمياء..

قنديل لا يحب أن يلفت إليه الأنظار،

مرآة تفرك عينيها المرمودتين،

وعاء مدقوقٌ يُخرج لسانه للسراب..

عطر زيتي يسيل بخرجٍ شديدٍ ويتحدث كثيراً كي يغطّي
على رائحته..

زيت الخردل نسي كل آلامه تحت المعصرة..
لم يكن يدري أنه سيلامسُ أصابعكِ
ليستعيد كل خصائصه
التي فقدتها وهو واقفٌ في قنينته..
كانت تراوده أحلام البذور حين كان فكرةً في رأس
الفلاح..
وحين أصبح بذرةً
صار يتوقُّ إلى الانتحار خوفاً من إيداعه بداخل القنينة..
مسكينٌ هذا الخردل،
كلُّ كوايبسه كانت مجرد أساطير
سمعها عن أجداده الذين ما يزالون مسجونين في براميل
كبيرة،
دون أن يحتاج إليهم أحد..

التابوت مرعبٌ حتى وإن كان جديداً،
والعُريُّ أخفُّ وطأةً من كفنٍ مطرّز..
يا لأحلامي هذه الليلة،
ستزل طائرة هيلو كبت
إلى شارعنا المتواضع..
ستلاحقني في الأزقة وتصوّب نحوي رشاشاً سينمائياً
يُطلق ألف رصاصة في الدقيقة..
سأرى الدوائر ترتسم على قميصي
وسأضع يدي على كلّ الثقوب،
سأحتاج إلى أيدي كثيرة
وحين أعجز عن سدّ كلّ الثقوب سأرتمي أرضاً
ليكون ظهري المثقوب مواجهاً للكاميرا
كما يفعل الهنود في كلّ فيلم ينتجونه..

أيها الغريبُ الذي لا ينفكُ يسألُ نفسه عن صحّة
الطريق:

هناك شجرةٌ آسنةٌ تأكلُ ثمارها..
وهناك عصافيرٌ تمارسُ رياضةَ المشي..
هناك نسرٌ يحومُ دون أن يقعَ مرةً واحدةً في الحمى،
فانتقِ مواضعَ قدميكَ فالليلُ بصيرٌ وليس كما
يتوهمون..

قشرةُ الموزِ موتٌ يتنكرُ على قارعةِ الطريق..
بين الموزِ والموتِ حرفٌ واحدٌ يقلبُ المعادلةَ التي ليست
صعبةً،
فلا تأخذ الأشياءَ على إطلاقها..

الطَّلَقَةُ هِيَ كَمِيَّةٌ مَا تَتَرَفُّهُ مِنَ الاسْتِجَابَةِ لَوَقْعِهَا فِي
نَفْسِكَ..

وَاللَّيْلُ مَسَاحَةٌ مَا تَرَسُّمُهُ فِي نَوَافِذِكَ الْمَخْبُوءَةِ خَلْفَ حَقْدٍ
سَتَائِرِكَ..

وَسَيَتَرُكَ لَكَ الظَّلَامُ خِيَارَاتٍ لَا تَقْدُرُ عَلَى الاسْتِعَانَةِ
بِأَحَدٍ فِي تَحْدِيدِ أَصَحِّهَا، لِأَنَّ جَمِيعَهَا مَغْلُوطٌ فِي نَظْرِكَ..
أَيُّهَا الْغَرِيبُ: تَتَنَكَّبُ الطَّرِيقَاتِ الْوَعِرَةَ وَنَفْسُكَ مَلَأَى
بِمَسَالِكِهَا الْمَغْلَقَةِ،

وَتَرَى الضِّيَاعَ يَتَنَاسَلُ مِنْ رَحِمِ الْخَرِيطَةِ وَأَنْتَ لَا تَقْوَى
عَلَى قَطْعِ حَبَالِهِ السَّرِيَّةِ..
سَتَعُودُ وَقَدْ امْتَلَأَتْ بِكَ الْجِهَاتُ، فَتَحَسُّسَ صَوْتِكَ جَيِّدًا
كَيْ لَا يَنْكَرَكَ الصَّدَى..

سَتَجِدُ بُرًّا لَا دِلَالَهَ فِيهَا.. وَتَسْتَفَكِّرُ كَثِيرًا فِي مَلْءِ
حِذَائِكَ بِالْمَاءِ، لَكِنَّكَ لَنْ تَجِدَ كَلْبًا تَخْتَبِرُ بِهِ إِنْسَانِيَتَكَ
لِتَدْخُلَ بِهِ الْجَنَّةَ.. فَالْخُفَاةُ، أَيْضًا، يَعْرِفُونَ طُرُقًا أُخْرَى
تُوصِلُهُمْ إِلَيْهَا بِأَقْلٍ كَمِيَّةٍ مِنَ الشُّوْكِ..

يا لهذه الليلة الكالحة..
كلُّ شيءٍ اصطبغ بالكآبة..
السريُّ
يصدرُ طقطقاتٍ مشحونةً بالقلق والضيق..
الطلاءُ الباهتُ
ينفث روائحَ بتروكيماوية خانقة
كما لو أنه خرج للتو من قُمُقمه!!
الملايين من دود القزِّ
تخطُّ للقيام بثورةٍ من داخل الفرشِ
المحشوِّ بالقطن
وكَبَتِ المراهقة..

أقترُبُ قليلاً من الكتبِ المكوّمة
كجثثٍ منسيةٍ في ثلاجةِ المستشفى..
أسمعُ حوافرَ الخيولِ الأمويّة،
فأهربُ من جوار الكتبِ
خشيةً أن تدوسني..
وأرتعدُ وأنا أسمع عويل السبايا
فأدفنُ رأسي في المخدة،
ثم لا ألبث أن أنتزعه
حين أتذكر أن الإسفنج
كان حيواناً في يومٍ ما..

هل يفعل الفراق كل هذا؟
أيُّ حبٍّ هذا الذي يجعلني مكتئباً
كطفلٍ مقمّط!!

تطبخ في قلبي كل هذه المواجه
كما لو أنها في حفلة شواء دائمة!!

امرأةً لو رآها قاييل
لقتل من أجلها كلَّ أفراد أسرته،
ولما احتقر نفسه أمام الغراب
لأنه لن يندم مُطلقاً..

يا هذه الليلة الكالحة..

هل السهر إلا ملائكة مُهمَّشٌ يريد أن يلفت إليه الأنظار؟
وهل الحبُّ إلا رجلٌ ذكَّره البُعد.. وامرأةٌ أنَّشَتْها
الوحشة؟

أحدّثهم عن عالم الماء
وهم على التراب..
عن تكوين كلّ حرف،
عن نشأة معنى المعنى،
عن التباس الليل والنهار في نظر الشَّفَق،
عن سرّ تكدُّس الملح في حدقات البحر،
عن الأشياء حين تتقلّص
ثمّ تعود إلى ذرّة صغيرة
لا يكون انتفاخها الحقيقي إلاّ كبذرة قرع..

أنا يُكشَف لي، وهم يتوهَّمون..
أحاول تصويرَ المشهد،
لكن..

أَتَّى يرونه بتلك العدسات!!
كمن يصف حريقاً هائلاً
لرجلٍ خرج من بطن أمه أعمى..
لن يفهمني أحد
ربما هو الجنون،
فليكن..
ما دمتُ أعرفُ متى سيحدثُ الانفجار العظيم،
لأنني واحدٌ من منفذيه..

أرى تاريخ انتهاء كل شيء
رغم صلابته
والاعتقاد بأزليته..
أسمع نبضَ البراكين،
وأرى قلقَ الأرض،
وأحسُّ بحاجةِ الجبلِ إلى يدٍ ضخمةٍ
تحكُّ جلدَه المليءَ بالبثور..

ستسقطُ الشمسُ
ذات يوم،
وهي في رحلة طيراتها
من المشرق إلى المغرب..
وحين يفتشون صندوقها الأسود
سيجدونه مليئاً بالملايين
من أسنان الحمير..

لَلَّيْلِ هَامِشٌ وَلِلْحَنِينِ مَتْنٌ،
وَيَيْنُ هَذَا وَذَاكَ
تَحَاوَلِ الرِّيحُ أَنْ تَبْدُو كَحَاشِيَةٍ
أَوْ كَمَلَفٍ مُرْفَقٍ
لَا يَجِدُ الْقَارِئُ صِغَةً لِقِرَاءَتِهِ..

تَضِيعُ الْجِهَاتُ
لَأَنَّهَا لَمْ تَجِدْ لَهَا مَكَانًا بَيْنَ الرِّيحِ وَالْهَامِشِ..
تَتَسَعُّ الرِّيحُ كَعِبَارَةٍ ضَاقَ عَلَيْهَا الْأَفْقُ
وَلَا تَجِدُ فِضَاءً تَلْبِسُهُ،
فَتُظَلُّ طَلِيقَةً كَمَجْنُونٍ يَمِزُقُ مَلَابِسَهُ
وَهُوَ يَجْرِي إِلَى مَكَانٍ لَمْ يَحْدُدْهُ بَعْدُ..

للحياة مراتع في حقول الريح..
ومواقع في ظمأ الجهات
إلى خريطة صحيحة
تتلى بالأدلة
على أن كل طرقها غير مرسومة.

الريح أول أنبياء الماء..
بدايتها لا تنحصر في المروحة التي أطلقتها،
ونهايتها لن تكون مجرد نفخة
على موقدٍ مليءٍ بالجمر المُتعبِ..

للريح رسالاتٌ عدّة..
تمشي وهي تصفرُّ
كطفلٍ منتشٍ بلعبةٍ جديدة..
وتتناقل علينا حين تدخلُ من شقوقِ النافذة
لترعبنا بصفيروها الخائف..

للريح بوصلةٌ عاطلةٌ
وأكياسٌ بلاستيكيةٌ تعبثُ بها،
ورايات ترحّبُ بقدميها
وهي ترتعش من الخوف..
تأتي ويدها مكنسة خرافية
لترفع الأوراق التي سقطت من تقويم الشجرة..

الشجرة كعبة الريح..
تعلّق على أغصانها الأكياس البلاستيكية
كما كان الجاهليون
يعلّقون قصائدهم الجالبة للغثيان
على الكعبة..

الريح ناثرة ماهرة
تبدأ كتابة نصوصها بالصفير.....
تدور المروحة أكثر فأكثر،
تجري بين الأزقة
حتى تصبح امرأةً من فوضى..
تتلاشى
وهي تملأ الشقوب الخائفة بالصفير
كما لو أنها تقاوم الموت بالموسيقى..

أَتَجَمَّلُ كَثِيرًا
وَأَنَا أَعْرِفُ أَنِّي أَشْبَهُ بِكَفَنِ تَمَّ تَطْرِيْزُهُ..
لَا شَيْءَ أَكْثَرَ إِيْلَامًا مِنَ الْمَعْرِفَةِ،
أَصْبَحْتُ خَارِطِي مَحْدُودَةً..
شَارِعٌ وَاحِدٌ يَرْبُطُ بَيْنَ الْبَيْتِ وَالْعَمَلِ
مَلِيٌّ بِنِقَاطِ التَّفْتِيشِ
وَعَسَاكَرَ يَحْمِلُونَ كَشَافَاتِ ضَوْءٍ
لَا تَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ،
وَبِنَادِقٍ مُتَاهِبَةٍ لِمُوَاجَهَةِ عَدُوٍّ
مَا يَزَالُ غَيْرَ مُتَوَفِّرٍ بَعْدَ..

شارعٌ يبدأ في استقبال النساء
من الرابعة عصراً
كمواعيد عيادات الأسنان،
ولا يتعبن مطلقاً
في العثور على سائقٍ أخرج
يلصقُ على وجهه ابتسامةً مؤقتةً
لا يلبث أن يدفع ثمنها
حين يصل إلى نهاية الشارع..

للهزائم زبائنها الذين لا يتعبون
من ارتياد حاناتها
لاحتساء كأسٍ
يظنون أنها الأخيرة،
لكنهم يعاودون الكرة بحثاً عن النصر
في ذلك الشارع
الذي يغريهم اسمه كثيراً..

أتهجى مرارة الإسفلت،
وأتمعن في قراءة اللوحات الإعلانية
بفضول مصحح لغويٍّ
يقضي نصف يومه محاطاً بأخطاء الآخرين
التي شغلته عن عيوب نفسه..

في ثلث الليل الأخير
لا شيء سوى الوحشة تنصبُ شاراتها
في كل منعطف،
والخوف يوزّع فزاعاته على الأشباح
كما توزع شاحنة الشرطة
معاطفَ المطر على رجال المرور،
وصبيُّ بيع البطاطا المسلوقة
وقد أشعل قنديلاً غازياً كبيراً
مثل كرماء العرب..

من يشتري منه في هذه الساعة المتأخرة !!
أحدهم قال:
الأمر أكثر من مجرد بطاطا مسلوقة..

لهذا الشارع تفرُّعاتٌ كثيرةٌ
وسائلةٌ تغسلُ السيارات الآثمة
من خطايا الطواف حول جولة (آية)..

للمساءات حمقى ومغفلون
أنا واحدٌ منهم بالتأكيد..
أعود وبى هواجسُ
تكفى لإفساد عشر راهبات،
أجد كلَّ شيءٍ مكانه..
العشر الراهبات كفرون بأفكارى وهواجسى
فأبسطُ يدَ الهوى كصديقى أبى فراس
وأنا أتخيل كلَّ شيءٍ
ليس فى متناول يدي..

للمساءات أجنحةٌ ملوّنةٌ بالدم
وأصابعٌ لا تجيد القراءة،
ونتوءاتٌ تشبه الأنداء..
أقطع مسافة الليل بغبنِ طفلٍ
خرج من متحف الآثار
وقد صدمته كلُّ الفاترينات بعباراة واحدة:
"ممنوع اللمس" ..

للمساءات جيوبٌ كثيرة
تتسع لهذيان المحمومين
وغنائم اللصوص
وتأوّهات العشاق....
العشاق!!

كم أصبحت هذه الكلمة باردة
كما لو أنّها أحد الأمراض الستة القاتلة..

للمساءات حزنٌ شفيفٌ يكاد يُرى..
ومواجهٌ سوَّلت لك
فتسوَّلتَ بها حينَ أيقنتَ أنَّها عاهتُك الكبرى..

كلُّ شيءٍ يوحى بنقيضه..
المرايا تفقد حدسها في التعرف على الوجوه،
والماء فقد كلَّ عناصره
ولم يبقَ له سوى النقاء العاجز
عن مقاومة اتِّساخ العطش..

للمساءات وجوهٌ عديدة
كما لو أنَّها صديقٌ لا هوايةَ لديه
سوى جمع الأقنعة وصور الموتى
في ألبومٍ يشبه المقابر الجماعية..

مساءً تُمارس طغيانها
كهذا الصديق الواهم
بأن كل المتواجدين في الألبوم ضحاياه،
لكي يثبت لنفسه شيئاً واحداً
ينكسر كلما تذكر أنه لا يجيده مع مَنْ هم خارج
ألبومه..

مساءً مقرفة كمعاجم اللغة
ومبالغة في أذيتها كجارٍ سيء،
حين لا يجد ما يفعله يطلب منك رقم هاتفك
ويقول لك: سنتواصل لاحقاً،
ليجعلك توقن أن هناك من يجمع الأرقام
كما لو أنها طوابع بريدية..

مساءتٌ خالية من أيِّ بهار،
تعرض صورتك فأبكي كطفلٍ
تكافئه أمه بحفنةٍ من الفلفل
نظير ما يتفوّه به من كلامٍ أسود..

مساءتٌ أقتلُ ساعاتها
في تأمل الحميمة بين نوم وجيري
رغم عداوتهما الزمنة،
فأتمنى لو نستطيع تجاوز كل شيء
لنصل إلى ما وصلا إليه..

يا لهذه المساءات..
الحمى أصبحت متصالحة مع الماء،
والبكتيريا
تحنُّ على الجراح أكثر من الدواء!!
الميت فقط
لا أحد يقول له:
على شان سواد عيونك،
لأنه دخل مرحلة البياض..

ها هو الظلامُ يتناسلُ بين جدران الغرفة،
كأنه يعدُّنا لدخول مرحلةٍ جديدة..
انفجاراتٌ
تتهادى،
رصاصٌ
يجيد رجْعَ الصدى..
نتكوّم داخل غرفة واحدة
كأننا نرسم صورة لقبر جماعي
يَتَسَعُ لكلِّ هذه الحميمية الطارئة!!

لم نعد بحاجة إلى المنبّه..
من يقنع الانفجارات
أنها أصبحت تتخلل أحلامنا بانتظام
كالفواصل الإعلانية!!
من يقنع الرصاصة
أن القنّاص قام بتحريرها
من سجن الكلاشينكوف فقط!!
من يقنع كاتم الصوت
أنه يوقظ العويل في قلوب الأمهات!!
من يقنع صنعاء أنها أصبحت مكاناً آمناً لتبادل الموت
كما يتبادل تجار المخدرات حقائبهم
في الأفلام الأمريكية!!

شعارات غاندي تملأ ساحات صنعاء،
مقولات جيفارا ترفرف في شوارع عدن،
وصرخات الحسين تملأ سماء صعدة..

صعدة!!

مدينة السلام،
منذ سنوات وهي تصدر الجرحى والشهداء
بدلاً من رُمّاتها الطّفّرة
وعنيها الذي لا يحتاج إلى مزيجٍ ليصير نبیذاً..
منذ سنوات وهي تعمل مع الموت وتتعامل به،
الموت لأمریکا.. الموت لإسرائيل
هتف بها سكان صعدة فكان الموت لهم...
ماتوا وهم يعصبون رؤوسهم بصرخة الحسين:
هيهات منا الذّلة..

ها هو الموت حرّ طليقٌ بعد أن كان مقيداً بالأجل،
يشتري الجريدة كلَّ يوم ليقراً صفحات التعازي
وأخبار الحوادث كأَيِّ قاتل..
ما زالت علبة ألوانه مليئة
وفرشاته متعددة الأحجام،
وأذرع أخطبوطية تطوّق الأرض..
وحين ينتهي من تلويث كلِّ شيء
سيفكر أن يفلّي رأس الأرض
ويرسم للشمس جدائل
ويضغط القمر بداخل قالب مثلث فيبدو كالجبنّة..

كليلة التّيس عليها الصّباح
وانتشرت نجومها على الأرضفة،
هكذا أبدو..
المجنون عبّاً كيسه ضوءاً،
بائع البطاطا يهدي كل زبون نجمة،
الفكهاني الذي أمام المستشفى
اخترع حديثاً في فضل زيارة المرضى
وحمل النجوم إليهم بدلاً عن التفاح الذي تأخر موسمه..

لم أعد قادراً على كتابة جُملةٍ مفيدة،
أفكر بكتابة قصيدة..
الشعر العمودي لن يناسبني في هذه الحالة
لأنني لا أحب الرقص الآن،
التطيف أصبح مهنتي الوحيدة
في زمن اللامسطرة..

سأكتب قصة قصيرة،
بل رواية
أتحدث فيها عن حكاياتي مع المجانين فقط،
سألت أحدهم:
ما الذي دفعك إلى الجنون!!
قال: العالم لم يعد يناسبني،
كان العالم يضيق به كملايس طفل
لذلك يمزق ملايسه باستمرار،
فكلما اتسعت رؤيته ضاقت ملايسه..
يقف بباب المسجد
ويقول للمتوافدين إلى صلاة الجمعة:
الله ليس في المسجد..

للمجانين رؤى
لا يقدر على تخيلها شاعر
لأنهم تجاوزوا هذه المرحلة،
يصوغون الحِكَمَ
ويعضون غير آبهين بمن يتلقفها منهم،
فالشهرة ليست في حساباتهم..
يتعاملون مع الجمادات بإنسانية مفرطة
لأنهم يرونها ونحن ننظر إليها فقط..

الأسبوع ليس سبعة أيام
اليوم ليس 24 ساعة،
حين يندفع مجنون ليسألك عن الوقت
سيهزأ بك إن أخبرته،
وسيشفق عليك
لأنك سجين دائرة الأسبوع المغلقة..

"خذوا الحكمة من أفواه المجانين"
المجانين يصدرون الحكمة لأنهم لا يحتاجون إليها،
العُقلاء مستهلكون فقط!!

الجنون علم
الجنون فنّ
الجنون اكتمال..
أقف أمام الجنون وجهاً لوجه،
يحدّثني من البُعد الذي يقف فيه
وأحدّثه من البُعد الذي أراه منه
وبيننا برزخٌ ضوئيٌّ
لا تقدر اللغة على تجاوزه..
الأبجدية مطيئة
لا يحتاج إليها هذا الجنون الزئبقي
الذي تحرّر من كلّ قيود الصلصال..

سألتُ المجنون:
لَمْ كُلُّ هَذَا الاتِّسَاخَ عَلَى مَلَابِسِكَ،
قَالَ: لَأَنَّا نَهْتَمُ بِنِظَافَةِ الدَّاحِلِ..
"بَيْنَ الْجُنُونِ وَالْعَبْقَرِيَّةِ شَعْرَةٌ"..
هَكَذَا يَقُولُونَ،
أَمْشِي عَلَى تِلْكَ الشَّعْرَةِ
بِحَرَصٍ لَا عِبَّ سِيرُكَ،
بِخَوْفٍ جُنْدِي وَجَدَ نَفْسَهُ فَجْأَةً فِي حَقْلِ الْغَامِ..
سَأَقْطَعُ هَذِهِ الشَّعْرَةَ،
فَضَاءَ الْجُنُونِ أَوْسَعَ مِنْ نَافِذَةِ الْعَبْقَرِيَّةِ..

سأنام بعد لحظات،
لم يعد هناك وقتٌ كافٍ لتحديد وجهة الأحلام،
سأترك أحلام الليلة للمصادفة..
الأحلام تغطّي وجهها خجلاً، كمن يلوّح بيدٍ مقطوعة
نسي أن يغطّيها بكُمّه الطويل..

ما زال حلقي يؤلمني من حلم البارحة..
كنتُ أسحب خيطاً طويلاً من حلقي دون أن ينتهي،
وأجمع الدُمى المتناثرة بجوار المقابر لأغسلها من الوحل
وأصليّ عليها مرة أخرى..
أجمع الساعات التي نسيّت الوقت منذ أزمنة
أنفخ فيها بعض الدقائق ليفرح بها من لا يشعر بليل أو
نهار..

وأحياناً، لا أجد سوى عملات معدنية مطمورة مثل كثر
قديم،

رغم أنني لستُ من هواة جمع العملات..
أملأ جيوبي وأخرج من باب المقبرة الخلفي،
أتحاشى الالتفات كي لا أدوس على حلم التراب بتزيل
أحمق يهوى التجوُّل بين القبور لأنه يجد ضالَّته بينها.

كنت أعتقد أن الجرائم تبيض،
وأحياناً أوقن أنها تلد كالثدييات..
حين تقول: لا..
أرى الجرائم تسيلُ من جبهتها
كأطفال أشقياء يتزلّجون..
أضع بين يديها دعوة مزخرفة وشوكة وسكيناً
فأتمنى لو أنها تذكّرت يوم قطعت يدها في حياة سابقة،
لكنها لم تكن من رفاق امرأة العزيز
فقد كانت حينها مشغولة بأداء دور كومبارس
في مسلسل مريم البتول..

في الغرفة الثانية

تقف فتاة ويدها ملابس كثيرة

تكفي لمدينة من الأقزام..

سألتها عن نوع الصابون الذي تستخدمه

وعيونها تبحث عن مقبض الباب لتستجد به..

حين خرجت من زجاج الباب

رأيت رأسها مليئاً بالتقرُّحات والندوب،

ورأيت الجراثيم تنصبُّ بين أصابعها أراجيح لصغارها..

الحمى تضع "لايكاتها" على كل مفاصلي،

وأنا أستمتع بالهذيان الذي يجعلني

أكتب نصوصاً سرّالية

وأتحدث عن مغامرات وهمية

لشخص أدّعي أنني كنته ذات يوم..

أسرد تفاصيل الرائحة،
أعرف الفرق بين الهرد وبين مرض الصفار..
بين القبر وبين صندوق الصفيح..
بين قطّ فلونة وبين كلب عبقرينو
بين طيور الجنة وبين طيور تنظيم القاعدة..

يدك تمسكُ بزمام الأمور
وأنا أنفليتُ كجديّ صغير..
يتراءى لنا في آخر الشارع خيطٌ مجنونٌ من البارود
ولا بد أن نُكمل قبل أن يصل إلينا،
نسيلٌ معاً كعينين باكيتين
ونسأل بعضنا لنتأكد من ذلك..
تلدغنا الساعة وكأننا ندوسُ على عقاربها..
لن نغسل أيدينا
وسنحتفظ بتلك اللحظة..

هل كنت في كندا فعلاً..
كانت البيوت اليمنية تحيط بالمشهد،
وكانت الأبواب الخشبية حاضرة بكل عفويتها
وذلك الجُصّ العشوائي حول النوافذ كان يزيد لها ألقاً..
كنت أخرج يدي من فتحة مسمار
وأعلق قفلاً صغيراً
فأتذكر "يد وحيد" وهي تطول إلى السحاب ليغسل
نظاراته المشروخة..

أعرف أنني لن أجد "القشر المشهوف" .. فهم لا يعرفون
سوى "كوفي موكا"،
ما لا يعرفونه أن موكا هذه أصبحت تستخدم الشاي
الرديء
بعد أن كانت آلهة البن..

بداخل رأسي رجلٌ يحدث نفسه بالفرنسية، بصوتٍ
أجشّ..
أهزُّ رأسي متظاهراً بالفهم..
كم أكره كلمة "أجش" هذه..
بنفس مقدار كرهى لكلمة "القهقري" و"قشيب"،
و"نَيْف"، و"لا مندوحة"..
"لا مندوحة" هذه تذكرني بالغثيان،
أمسح فمي بمنديل كما لو أنني بصقتُ بيني وبين
نفسي..

ها هو قلقُ السفر يسيطر على مفاصل الحقيبة..
القمصان متوتّرة رغم كيّها جيداً،
الكاميرا غير مستعدة لإغماض عينها الوحيدة من الآن،
الموبايل ينتظر تحويل اللغة إلى الفارسية ليصدّق أنه خارج
نطاق التغطية..

المرور عبر مطار اسطنبول يخيفني،
لا أريد أن أتذكّر أنني كنت هناك في حياة سابقة..
لا أريد أن أتذكر كلّ أجدادي في لحظة واحدة،
فقدت لغتي الأصلية
وأحتاج إلى شريحة لأستطيع التخابط معهم..
سأضع على رأسي طربوشاً أحمر،
ربما يعرفونني دون أن أتكلّف عناء الكلام..

عمارة شاهقة،
وقديمة جداً،
إلى حدّ أن أرى أبي يقف على بوابتها بانتظار نزولي
ليقبض على لحيته ويمضي
دون أن يقول كلمة..

حميمة طارئة تربطني بهذا المكان الذي يشبه معصرة
السمسم..
عتبات أبوابه مكتظة بالأحذية كأنه مسجد..

محسن الصنعائي
الذي يعمل في تكسير الحجارة يُجري معي حواراً
صحفياً
في غرفة ضيقة،
تنحنحتُ لتجربة صوتي
فنَهَرني لأنني سأوقظ الرجل النائم
الذي لا يتجاوز عرضه شجرة الموز،
وهو ملفوف بكفن أسود يُشبه عَلم القاعدة..
ويشبه أيضاً ثوب الدَّمَس الذي تركته جدّته في شهر
عسلها معلّقاً
على حبل غسيل أوروبي..

محسن الصنعائي
يريدني أن أشنَّ هجوماً على القناة التي أجرت معي
حواراً قبل أيام..

لا أتذكر اسم القناة
لكنني رسمت له شعار القناة المتطرّفة
التي تظهر فيها المذيعات لقراءة الأخبار
وهنَّ بملابسهن الداخلية..

استيقظ الرجلُ النحيلُ كشجرة موز..
قطعتُ الحوار مع محسن الصنعائي
الذي كان يتهيأً لتثبيت كاميرا التصوير
ولم يتبقَّ من الحوار غير السؤال الأخير..
أجبتُ عليه وأنا أنزلُ مسرعاً من السُّلم المليء
بالأحذية..

العملة الزجاجية الملونة تُزَيّن الشوارع
وهي مثبتة على الأحجار المرصوفة مثل "عين القط"..
الفقراء يشعرون حينها بمقولة "العين بصيرة"
التي تملأ مطابخ مصر..

في الدور السابع
طفلٌ متوحّدٌ حتى من ملابسه،
يملاً القنينة بالفحوصات
ويسكبها على المارّة الذين يتحركون ببطءٍ آليٍّ
كي لا يدوسوا على تلك العملة الزجاجية..

ها أنا أعجن قبل أن أصل إلى إيجاد رابطٍ بين محسن
الصنعائي وبين الصحافة!!
محسن يبدو مثل "أحدب نوتردام"،
فمه المفتوح باستمرار
وبجّة صوته
ولحيته الرثّة تجعله كذلك..
وددتُ لو أسأله:
هل كَتَبَك فيكتور هوغو؟
لكنَّ عمله كقاطع أحجار كان يحولُ بينه وبين فرنسا.

المتسولة التي أيقظتني من نومي
لم أستطع أن أعود إلى النوم لأعطيها الريال الذي كانت
تحلم به..
غداً سأنام والريال في يدي..

ما زلت أنتظر الصحن الفضائيَّ كلَّ مساءً،
وأصافحُ نفسي بقوة
لأهيبُ أعصابي كي لا أرتبك
حال نزول رجال الفضاء لمصافحتي..

أشعر بتغطية الهاتف تتغير إلى شبكةٍ أخرى
فأوقن باقتراهم
وأرى الضوءَ الأخضرَ دون أن يحدث شيء،
أحسُّ بأصابعهم الرّخوة في يدي
فأفكرُ أن أرتدي قفازات،
والوَح كَلِّمَا رَأَيْتُ طَائِرَةً قَادِمَةً
كَأَنِّي أَقْنَعُ نَفْسِي بِأَنَّهُمْ قَادِمُونَ لِإِنْقَازِي مِنْ هَذَا
الْكُوكَبِ..

أربطُ ساعدي بخيطٍ خفيفٍ
تأهباً لأخذ عينةٍ من دمي
ليقوموا بفحصها في مختبراتهم المتقدمة..
سيقفون ذاهلين
حين يجدون أن فصيلة دمي **AB+**
ثم أرخي ذلك الخيط حقناً لدمي
وألغي هذه الفكرة تماماً..
لا أحد يحتاجُ لهذا الدمِ النادر..
نعم..
لا أحد يحتاج إليه..

حلمت كثيراً أن أصبح شخصية كرتونية
وأعيش بداخل مسلسل للأطفال..
حاولتُ إنقاذ سالي كثيراً..
وبحثتُ مع بيرو عن أبيه الذي اختفى خلف جبال
الألدرادو
بحثاً عن الذهب..
في اليوم التالي أفتح التلفزيون
وأتوقع أن أجد بيرو ممتناً
لأنني أساعده في العثور على والده..

تَمَنَيْتُ كَثِيراً أَنْ أَصْبَحَ شَخْصِيَّةً كَرْتُونِيَّةً
لَأَتَزَوَّجَ بِالْيَدِيِّ أَوْسْكَارَ،
وَأَحْمِلَ سَيْفَهَا لِأَرَى إِنْ كَانَ سِيلْمَعُ فِي يَدِي،
وَلَأَلْمَسَ جَاكِيتَهَا الْأَبْيَضَ،
فَقَدْ كُنْتُ أَحْلَمُ أَنْ أَمْتَلِكَ مِثْلَهُ فِي يَوْمٍ مَا..
فِي الرَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ تَوَقَّفْتُ تَمَاماً عَنْ ارْتِدَاءِ أَيِّ جَاكِيتٍ،
فَقَدْ تَصَالَحْتُ مَعَ الْـنَصِّ كُمْ،
وَأَصْبَحَ نِصْفُ يَدِي مُحْرَقاً مِنَ الشَّمْسِ،
لِذَلِكَ أَحَبُّ أَنْ أَتَعَامَلَ مَعَهَا عَلَى أَهْمَا يَدِ شَخْصٍ آخَرَ
مَا دَامَ لَوْهَمَا مُخْتَلِفاً عَنْ بَقِيَّةِ جِسْدِي..

سمحتُ للبعوض أن يقرصني كثيراً،
ليتوزّع دمي بين القبائل،
وأشعر بالتواجد في كل مكان..
هل كان البعوض يتجشأ بعد تلك القطرة
أم أنه كان يبصقها لأن فصيلة دمي لا تناسبه!!

العيش بتلك الطريقة مريح، ودون تكلفة..
أبتسم لنفسى ابتسامة زائفة
تشبه ابتسامة فتاة معجون الأسنان..
أحتاج أحياناً كثيرة لهذا الزيف،
وأفرح به كما يفرح المسؤول بورقة نقدية زائفة..

تخاطرُ كثيراً
حين ترى في الغيمة حوضَ سباحة..
هي فلسفة رائعة،
لكن ليس قبل أن ترى نفسك طيفاً،
ما جدوى أن تضع حجراً ثقيلاً
على ميزان الصائغ؟

تبالغ كثيراً
حين تقفُ أمام المرأة
لتتعرف على هذا الوجه،
كأنك لبسته للتوّ ووجدت أنه غير مناسبٍ
للقاء صديقةٍ جديدة
تعرفتَ عليها في دردشة الفيس بوك..

حتى المرايا مغشوشة..
هذا ما قالتها امرأة في السبعين
حين رأت مرآتها مليئةً بالتجاعيد !!

أغرّد خارج السّرّب
لأنني أريد أن يكون صوتي مسموعاً..
هناك أصنامٌ من البسكويت الفاخر
لم يكن يعرفها عبّادُ التمر الرديء..

أحسُّ بشجنٍ يغلفني كباقةٍ ورْد..
الغيمةُ ستجبلُ بالعطر
وتنسى أن رثتها تعملان بالماء!!

الكثير من الأصدقاء قمت بحشوهم في ذاكرة الهاتف،
لأن ذاكرتي لا تتعامل مع الأرقام..
أقوم بمفاضلة
بين وضعهم في ذاكرة البطاقة أو ذاكرة الهاتف،
فأتمنى لو أن هناك منفى بين الذاكرتين لكلّ هذا الغناء..

يحدث أن أرى العطر
وهو يصرخ داخل القنينة..
أن أرى زهور الستائر ذابلة،
أن أرى القنديل يتعرّق ضوءاً،
أن أجري الآن مكالمة هاتفية
مع سلفادور دالي...

يخطر في بالي سفينة محملة بالموتى،
جلودٌ بشرية يتم تصديرها لمصانع الزينة،
يخطر في بالي فطائر "واجون ويلز"
التي كنا نسمّيها كعك الحمدي..

يخطر في بالي مشهد قديم لقلامة أظافر
وهي بداخل الثلاجة،
يخطر في بالي شراب السعال
الذي لم يكن ممزوجاً بنكهة الفراولة
ورائحة التبغ
التي كانت تمتزج بالأدعية الرمضانية..

يخطر في بالي
وجع مفتوح كسماوات الله،
وأطفال من فضة
يتساقطون فوق ذهب الكلمات..
أطفال كأفئدة الملائكة،
تقتسمهم الصواريخ
كأنها تتناصفهم مع أمهاتهم..
أطفال كقصار السُّور،
يجوّدون الموت بكل مخارج حروفه
ومداخل شظاياها..

يخطر في بالي امرأة تبيع كليتيها بقليلٍ من البَلَل،
تَمَلُّ أصابعَها بجِوَاطِمَ محرَّمةٍ
وتضحكُ بنصفِ شَفَةِ،
كَأَنَّهَا تَدَّخِرُ ضَحِكَهَا لِمَكَالِمَاتِ آخِرِ اللَّيْلِ!!

تنهَرُ ابنتها باستمرار
كَلِّمَا حَاوَلُ أَنْ يَجْلِسَ فِي حِضْنِهَا،
كَأَنَّهَا تَخْشَى أَلَّا يَجِدَ مَكَانًا شَاغِرًا،
أَوْ أَنْ يَطْرُدَهُ أَحَدُ السَّكَارَى
الَّذِينَ يَقْهَقُهُونَ بِدَاخِلِ رَأْسِهَا!!

يخطر في بالي مسدسٌ محشوٌ بالندالة،
يتهاً ليوح بسرّه لشخص لا يعرفه..
يخطر في بالي صديقٌ أحاول التعرفَ على وجهه المتعدد..
ورقة نقدية عاجزة عن فعل شيء..
سلة مهملات مليئة بالأشياء الثمينة..
صفحة صديق فيسبوكي شبيهة بمكبّ نفايات..
يخطر في بالي غربة اللوحة
وغرابة اللون،
وحلمٌ قديمٌ يتكرر في لوحات سلفادور دالي..

يخطر في بالي عربة إسعاف بكماء،
وغربان تحدّق في المرايا
تبحث عن نقطة بيضاء في سيرتها الليلية..

يخطر في بالي قبلةً تجعل المطر يتوقّف أمام إشارة
المروور..

أصابعُ من ضوء..
شفتان كأنهما مصراعان إلى الجنة،
وفمٌ ثلاثينيٌّ ما زال مولعاً بالرضاعة..

لصنعاء تقويمٌ مختلف
وأيامٌ تمرّدت على التسميات،
كأنّ شارع الزبيري يقايض نصفه بشارع حدّة..
حوانيت العطارين أصبحت مزارات حداثة
هناك من أزاح الشوارع عن مكافئها،
أو أن يداً كبيرة تلعب الشطرنج في شوارع صنعاء..

ها هو طيفك يجلس أمامي، واضعاً يده على جبهته،
كأنه يقرأ أواخر سورة الحشر!!
أشعر بيأسٍ غيمةٍ لم تعد قادرةً على إنجابِ قطرةٍ ماء..
بغربةٍ طيرٍ
أضاع خريطته فوجد نفسه تائهاً في مدن الزجاج..

امرأةٌ متدمرةٌ تُكسّرُ أواني المطبخ..
دراجاتٌ ناريةٌ وسياراتٌ مُتعبَةٌ أسمعُ صريرَ مفاصلها..
قطارٌ متهورٌ يجري كمجنونٍ فرّ لتوّه من المصحّة،
ألعابٌ ناريةٌ عشوائية،
فريقا كرة قدمٍ يلعبون بخصومةٍ شديدة..

أطفالٌ يتعاركون،
كرةٌ ثلجٌ تتدحرج،
جرسٌ كبيرٌ لا تحتمله كنيسة..
أشياء كثيرة
الآن.. بداخل صدري..

كأن المساء ليس سوى ورقة مقصوصة
من كتاب قديم!!
والصباح سخيْفٌ جداً
كزغرودة في عزاء..

لم تكن مضطراً لإلقاء قميصك من البلونة
لمجرد أن إحداهن عانقتك
ونسيت شفيتها على كتفك..
باستطاعتك أن تقصّ الشفتين
كي لا تراهما زوجتك،
لن تصدقك إن قلت لها إنهما فوتشوب
أو أن أحد العمّال أوقع عليك بعض الطلاب
وهو يدهن الجدار..

ها أنت تتزف لجرد أنك تشاهد فيلماً عن حرب أمريكا
وفيتنام،

تمسحُ أنفكَ كلما قام أحدهم بتسديد لكمة
وتبتسم حين ترى البطل ينجو من نزع الدبابات
وعيون القناصة
التي تقتل بغمزة واحدة فقط..

تسألك زوجتك عن خيط الدم بين أنفك وشفتك
فلا تجد جواباً يستطيع إيقاف ذلك التريف..
في الشرفة المجاورة

امرأة تربط أكمام قميص زوجها على حبل الغسيل
بقوة..

كأنها تفكر بكرسي الإعدام الكهربائي..
في الشارع رجلٌ يطرب لإيقاع الكعب العالي،
وهو يشتم زوجته الخافية من كل شيء..

بقليلٍ من الليل سأدهن باب البيت،
وأحنيّ يدي كي لا يراها أحد،
سأكتفي بأغنية مبتورة أرّمها بيني وبين نفسي
وسأقمّص شخصية الملحن الذي يدوزن شجاراته مع
زوجته،
ويحلم حسب ما تقتضيه النوتة.

لا شيء يستحقُّ كلّ هذه التناهد،
ثيابك لم تعد تتسع لكلّ هذا الغياب..
تتذكّرُ الماء فيسيل بين أصابعك،
ثم تحاول أن تستحضرَ الجفاف
فتخشى أن يتشقق الصلصالُ بداخلك..
من يقنعك أنك لستَ فخّاراً إلى هذا الحد من
الخوف!!

يزعجك الشريط الإخباري المليء بالأخطاء المطبعية،
والمذيع الذي يبتسم قبل أن يقرأ خبر انفجار حافلة مليئة
بالطلاب..

تنصتُ إلى وساوس زوجتك
وتضع يدك على قميصك
خشية أن تُصدر الشفتان قبلةً
تؤكد هذه الوسوس،
وتتمتم بآياتٍ لإخراجك من هذا المأزق..

أبدو كشمعة
تتمشى في ساحات النار..
المطرُ شديدٌ
كما لو أنَّ الأرضَ في حالةِ إغماء..
الحمى تغسلني بجميَّها،
وأنا ألاحقُ صوتك كما يتتبعُ المريضُ أسماءَ الأطباءِ..

لا أحد في هذه الساعة
يستطيع تحمّل هدياني سوى عبدالله حمود الفقيه..
يرفع سماعة الهاتف
وقد هيباً نفسه لأيّ شيء سأقوله..
أخبره أنّي كتبتُ نصّاً جديداً
أتحدّثُ إليه عن شارع النصر
الذي خرجتُ منه مهزوماً بسبب تأخّر صرف
المستحقات..

عن بطل رواية "الحارس في حقل الشوفان"، الذي يشتم
كلّ ما يراه أمامه، وهو يراه في قرارة نفسه كأنيّ

.....

كم أنقذتنا "كأي" هذه..
عن الضيق الذي نبثه كـ واير لِس..
عن كاتبٍ أخرج
يُعرِّف اليتيم أنه بلا أم، بلا أب!!
عن أشياء كثيرة يكون الحديث عنها منعصاً
كرؤية حيوانٍ منويٍّ
وهو يتمخطر في الأفلام العلمية..

كما أنا..

لم يتغير شيء،

أطرق الباب الخطأ باستمرار

وأمني نفسي بيدٍ سأصافحها خلف الباب..

للأبواب حكايةٌ طويلةٌ لا يعرفها النجّارون،

حكايةٌ تتجاوز سعرَ الخشب وجودته..

الأبوابُ مومياواتٌ ترتدي الخشب

وربما أنها بشرٌ انتهت فترة صلاحيتهم فتمَّ تحنيطهم..

تغلق الباب بهدوءٍ كي لا يسمعك أحد
فيفضحك بكلِّ لؤم..
ويصدر أصواتاً يخيفك بها
كأنه يقطعُ أصابعه،
لا لشيءٍ إلا ليجرّب لؤمه عليك..

الباب حكاية طويلة لُغري الشجرة
وعقمٌ مدهونٌ بطلاءٍ لا يستجيب للرياح اللّواقح
التي تزأجُ بين الأشجار دون أدنى شهوة..

الباب انتظارٌ دائمٌ
وانفراجةٌ مؤقتةٌ لضيقٍ طويلٍ..
كلُّ خضرته مخزونةٌ في ذاكرة المنشارِ
الذي يقطعُ المشهدَ من نصفه
ولا يبالي بالنهايات
لأنها غير سعيدة في نظره..

المنشار صديقُ الشجرة
يحميها من مقصِّ البستاني
ومياه الشتاء التي تملأُ عروقها بالصقيع
ويمنحها شكلاً آخر لكسر رتابة الفصول
التي تتلاعب بأوراقها المتساقطة..

يتذكّر البابُ أنه كان بذرة ملقاة على التراب،
ويتذكّر أنه بقي لساعاتٍ في حوصلةِ عصفورٍ
أصابه قيءٌ مفاجئ..

أصبح في مأمنٍ من الشيخوخة
ورماد المدفأة
وثرثرة الطيور
التي كانت تستريح على أغصانه في حياة سابقة..

يتذكّر الباب أن جذوره ما زالت مدفونة في التراب
وأن نصف ذاكرته تكفي
ليتأكد أنه يقوم بدورين في مسلسل واحد..

ها أنا أنفخُ اشتعالَ الحناءِ

فتسأليني ببراءة:

لماذا لا يحمرّ!!

وأنتِ تجهلين أنه فقدَ ذاكرةَ اللونِ

حين حطَّ على يدك..

تلك المرأةُ ناقشةٌ بارعة،

تُنَفِّسُ عن كَبْتِها الفَنِّي

بنقشِ مواجعها على أكُفِّ الحسنات

وتتباهى بموهبتها قليلاً حين تقول:

أنا أمُّ أحمد،

وكأنها تتحدّثُ عن عَلمٍ من أعلام القاهرة!!

ننفثُ آهاتٍ
مُغلَّقةً بدُخانِ الشَّيشةِ،
ونغطيُّ أسرارنا بجهوريَّةٍ فاضحةٍ
كلِّصٍّ
يختبئُ خلفِ لوحٍ زجاجيٍّ..
وحين نحسُّ أننا سنقول كلَّ شيءٍ
نقطع خيطَ الصفاءِ بمناداةِ النادلِ،
مطمئنِّينَ إلى أنه
لا يجبُ من أول مرَّةٍ..

مرآة مقهى الفيشاوي
كبيرة بحجم الحائط
وكأنها تُستخدمُ لكشف الكذب
وتجسيد الأثبات المتصاعدة
من حناجر جديدة على التأوه بطعم الفراولة..
نطلبُ من خازنِ النار جمرتين
ليضعهما على رأس الشيشة المليء بالهواجس
ونمارسُ على قلوبنا المشتعلين ساديةً مُفتعلةً
بمتابعتنا لترمُد الجمرتين
دون أن يحبوا بداخلنا شيء..

يا لهذا النادل..
انحصرت كلُّ حواسِه في الفاتورة
التي يحملها بأدبٍ تجاريٍّ ليضعها على الطاولة
كأنه يقدِّم لنا هدية،
ثم يأخذ ملاعقنا البلاستيكية
وبقايا العصير المبتهج
وحروفنا المرتبكة
ليلقي بها بين نفاياتِ المطعم
دون أن تهتزَّ له شعرة!!
نادلٌ يقيس ضغط الماء
ويتوقع أن تنيخ الطاولةُ كناقيةٍ متعبة،
حجزنا طاولتين..
الأخرى كان يجلس عليها القلقُ
ليبتَّ ذبذباته
ويقضم أظافره بأسنانٍ مُرتبكة..

من يمسح العرق عن جبين الجدران!!
قامت القيامة

ولم يشعر بها حتى النادل
الذي وجد شفتي في الكأس..
الآيس كريم يتلوّن من الدهشة،
أتحسّسُ عروقي المتشابكة
كما يتحسس الأعمى لغة برايل..

كان المذيع يقرأ نشرة الأخبار،
أخطأ كثيراً
 واعتذر للإخوة المشاهدين بتلكو أكثر..
هل أربكناه إلى هذا الحد!!

من يرسمُ شهقةَ الكأس حين يقع على الأرض!!
من يرسمُ خيبةَ الرسالة التي لم يتم تسليمها!!
من يرسمُ وقاحةَ الموت حين يدخل البيوتَ دون
استئذان!!

من يرسمُ فرعَ الوردِ حين تتعرضُ للقطف!!
من يرسمُ حزنَ القصيدة التي لم تكتمل!!
من يرسمُ وحشةَ آخر ورقة في التقويم!!
من يرسمُ الصوت..

والفكرة وهي تلتمعُ في رأس الشاعر!!
من يرسمُ صراخَ الشجرة من جوع الفأس
وبلادة الحطّاب!!

من يرسمُ قشعريرةَ الماءِ في ليالي الشتاء!!
من يرسمُ حقارةَ السُّعالِ وهو يوقظُ الأطفالَ من
نومهم!!
من يرسمُ هذا الشجن الذي يُحرّضني على الرَّسمِ،
ويجعل آمنة النَّصيري هدفاً لشررتي في هذه الساعة!!

ها هو الضيق يعبث بي
يحوّلني إلى قلامة أظافر،
لا شيء يحسُّ بي في هذه اللحظة
سوى منفضة السجائر الحبلى بقلقي..
أتأمل وجوه من حولي
فأراها باردةً ومطمئنة في آنٍ واحد،
يستطيعون أن يخبئوا ارتباكهم..

لا زالت التلقائية
تتحكّم في أعقاب السجائر المعضوقة،
تتحكّم في ارتعاشة يدي
وأنا أكتب هذه الكلمات
التي لن أكون راضياً عنها..

ست ساعات
أقضيها في إدارة التصحيح
محاطاً بالأخطاء المطبعية
واللغوية..
ألقي بكلّ قراءاتي
كما لو أنّها كرت خدش تم استخدامه،
وأتماهى مع حماقات الكتّاب
الذين يتحدثون عن السياسة
بسماجة متسوّل
يتحدث عن الأنفة..

البحرُ يؤرشفُ الأسماكَ ويصنّفها حسب الأبجدية..
في الموجة الثانية أخذت صديقي إحدى النساء
بحجة إجراء حوار صحفي..
لم يكن هناك سوى متسوّل يجلس على كرسيه المتحرك
كما يجلس الملوك،
قال لي: اذهب، وسأرشدُ صديقك إلى حيث تقيمان..
ألثفتُ فأراني محاصراً بعشرة أبواب..
أيّها فتحتُ فلن ينهري أحد،
ولست مضطراً أن أستأنس أو أسلم على أهلها..

الأسماك تمشي في مسارب صغيرة بين الصخور
استعداداً للحساب والعقاب،
و حين تقفل كتاباً، لن تجد نفسك مضطراً إلى ثني الورقة
أو كتابة رقم الصفحة..
ضع سمكة وأغلق الكتاب عليها فقط..

أوقفني شرطي:

أنت سكران!!

لا..

أنت تهذي؟؟

لا تقلق أيها الشرطي..

دعني مُلقى على الرصيف

حتى أنتهي من هذه الصدمة..

قلتُ لذلك المُتسَوِّل
الذي يجلس على كرسيِّه كما يجلس الملوك:
إِخلع هذه العمامة الصفراء
وفُكَّ هذا الزرار الأحمر على جبينك،
فملاحك عربية..
قال لي: أنا عربي.. لكنني موكلُّ بأرزاق الهنود..

في المسلسلات الإسلامية
يقف الحاجبان على الباب
ويغلقانه برُحَين مائلين..
هنا يغلقونه بقنديلين..
هنا أين!!!

يا مكانك أن تفتح قائمة الرسائل وتضع دمعتين،
و حين تفتحُ حبيبتك صندوقَ الوارد
سينفجرُ موبائلها بالبكاء..

من يراني طافياً فوق هذا البحر
سيعتقد أنني أحد رموز الصوفية..
كلُّ ما في الأمر أن البحر ليس عميقاً،
إنه نسخة مطوَّرة من المحيط الهندي..

هل كنا على سفينة نوح المجنونة!!
كانت تركضُ فوق جبال الماء،
ونحن ننظر إلى الدنيا بدهشةٍ يتيّم
يمتلكُ لعبةً متحرّكةً لأول مرّة..
حياةً طويلةً من الماء
تكفي لأن نتحوّل إلى أسماك..
سنكتفي بالقشور
لتغطية أجسادنا..

الموجُ عالٍ جداً،
ويداكُ تشيران إليَّ
كأنهما أيقونتان مقدَّستان..
سأُتعلّقُ بهما
كي لا أكون من المُغرقين..

بيتنا المربّع،
تطلُّ كلُّ غرفه على صالة كبيرة مليئة بالماء حتى
منتصفها..
لذلك، نعلّق اللوحات والبنادق القديمة والشهادات
على جدار البيت الخارجي..

يطوف على أبواب الغرف ثور كبير،
لا أدري إن كان يعمل ضمن خدمة الغرف...
يطرق الأبواب بقرنه المسنون جيداً..
أخشى أن أفتح الباب،
ستمتلئ الغرفة بالماء
ويتحول الثور إلى شهادة تقدير معلقة على جدار البيت
الخارجي..

نتناول وجبتنا في الخارج بعد أن امتلأ بيتنا بالماء،
نضع المائدة على ظهر ثور
وبعد أن ننتهي من الأكل نمسح على ظهره كيتيم
وننهره من دخول المنزل..

أفكر أن أمشي على الماء كالأولياء
لكني لن أحنث بيمينني في استخدام الماء لأغراض
أخرى..

الثور الكبير لم يكن وديعاً،
كان يخبئ قرنيه بداخل جمجمته،
وحين يحكُّ الأرض بحافره تنطلق شرارة من أنفه
ويخرجُ قرناه كخنجرين لا يمتلكان أي ضمير..

نستخدم هذا الثور لفك التراعات القبليّة،
نمشي خلفه كمهرّجين
نردد أهازيج لا يعلم الخليل بن أحمد عنها شيئاً..
يتقدّمنا الثورُ كرجلٍ عاقلٍ وهو يتفرّس في الوجوه
خشية وجود جزّار متهورٍ
يقفز قبل إشارة السماح
التي تعتق رقبة الثور..

للماء أسئلته التي يفاجئ بها الكائنات،
وللطين جنونه الذي يجعل الاتزان حالة من العبث
كحالات بعض الحمقى على الفيس بوك..

كنا على سرير من الماء
وبقية المكان تشغله طيور تنكر بالغناء..
يُخرج أحدهم من جيبه مفتاحاً فضياً
كما في المسلسلات القديمة..
نتغطي بالضوء كي لا يرانا،
تسكت الطيور وتتحول إلى أيتام صغار في ملجأ..
أخرج إلى البيت لآخذ بيجامة
وأعود إلى الحلم بوعي أكثر..

أُدخل قطعة معدنية في حلقوم الباب
فتخرجين أنت..
أنتظرُ الكرات المتدحرجة
أنتظرُ علبة بيبسي مجانية..
أركلُ الآلة،
تخرج القطع المعدنية دفعة واحدة
قبل أن تفتح الكاميرا عينها الوحيدة..
وحولنا خلّاطات مليئة بالجزر
تغطي على أصواتنا المرتبكة،
وكأن سكّان هذا الشارع من الأرانب!!

أحدهم يترع الغراء من المظروف،
تطلين أنتِ

-ك- نانسي عجرم، في أغنية شخبط شخاييط-

لتخبريه أن العنوان خاطئ،
أخرجُ من المظروف لأبحث عن صندوق بريد تم إغلاقه
من الخلف كي لا يوقظنا أحد..

أصابعي تنفلت مني،
تتحسس خريطةً جديدةً
مليئةً بالبراكين ومستودعات البارود..

الزائرُ يبدأ مفعوله
أرتعشُ كصوفيٍّ مبتدئٍ
أهذي بصوتٍ مقلوبٍ ولسانٍ لم يعد في فمي،
اختلطت الأصوات،
نئنُ كأننا مطعونان
ونتشبثُ بنا إلى حدٍّ الفجيعة..

ستكون أصابعي مبتهجة وهي تدلي بشهادتها،
أما قدمائي فلن تشهدا بشيء،
هما مخدّرتان
وكأن قطيعاً من النمل بداخلهما..

قميصي سيصاب برهاب الماء، إن فقد رائحتك..
رأسي يدور كأن بداخله عشرين لتراً من النبيذ الأحمر
الذي رأيته في دمشق..

اليوم الأربعاء..
سنقيم قيامة صغيرة
كي لا تموتَ في هذا اليوم..
سأبقى حتى الواحدة ظهراً بانتظار القيامة،
كتابٌ واحدٌ لا يكفي أن آخذه يميني،
سأخذ الأعمال الكاملة..

الضوء كان نائماً..
كالفتنة تماماً،
أيقظناه حين غادرنا
ليلتقط ما شاء من التفاصيل
التي تركناها عائمةً
في بركةٍ كبيرةٍ من الألوان..

كنتُ بين كأسين..
واحدة مقدّسة
والأخرى أيضاً مقدّسة..
لم يكن مزاجها سوى شراب الشعير،
أما الزنجبيل
فقد كان دون أيّ مزاج..
تركناه يذوبُ في القارورة
ليعلم أن لنا مزاجاً خاصاً..

نرى طَيْرَيْنِ عَارِيَيْنِ فِي شَاشَةِ اللَّابِ تَوْبَ،
اكتفينا بضوءِ التلفازِ
وتحدثنا عن تدليسِ رِوَاةِ الأحاديثِ
وعن فيدلِ كاسترو
وعن مغتربِ حَقِيرِ
يؤذينا برسائله ويتصرف كأي ابنِ.....

ماذا فعلنا!!
انتظرنا الهذيانَ فلم يَأْتِ..
كان الضحكُ هو بطل المسرحية
وكان كيسُ القمحِ
الذي لا يكفي لثلاثة أيام
هو اللغزُ الأكبرُ في عمليةٍ تقليديةٍ
لا تساوي ثمنَ رغيف!!

تحدَّثنا عن المفتي الذي يتربَّصُ بالنساء
ويسألهنَّ عن الفرق بين السين والصاد..

السين والصاد

اللذان كانا حاضرين بجانب مشرط الطبيب،
وهو ينوي أن يفتح به غرناطة..

سنذهب غداً إلى مكتب البريد،

ربما وصلتنا رسالة اعتذار من مؤذن الجامع
الذي استعجل قدومَ المساءِ لأنه ينام باكراً..

ربما وصلتنا رسالة من المستشفى الجمهوري
يخبرنا فيها أن كلَّ المرضى عادوا إلى بيوتهم بصحةٍ
جيدة..

ربما وجدنا اعتذاراً مكتوباً في الشريط الإخباري
لقناة الجزيرة
عن تكديرنا بأخبار القاعدة
وطالبان
وأمر قطر..

كأنني أنا..
أرسلُ عينيَّ إلى محرابٍ لا يحتاج إلى خارطةٍ لتحديدِه،
إلى امرأةٍ يشير القلبُ إليها كبوصلةٍ لا تعرف أيَّ اتجاهٍ
سواها..

الموبايل يحاول اعتقاله بكاميرته،
وأمُّ كلثوم تلوِّحُ بمنديلها كأنها ترحِّب بنا..
نظرةٌ إلى مسجد النهدين،
وأخرى أوزَّعها على البيوتِ الوادعة،

كأني أتفقّد أحوالَ الرعية..
لم يعد هناك نساءً يتغزّلن — نصر بن حجاج
وليس هناك بائعةٌ تحاول إقناع ابنتها أن تخلط اللبن بالماء،
بعد أن أصبح الزبادي يأتي مخلوطاً
دون أيّ خوفٍ من عُمر..

وديع الصافي يتسم لفيروز بشاربه المعقوف
وهي تسأله: إنتَ من وين!!
نغني معهما
فنرى أصواتنا ملوّنةً في ذلك الفيديو!!

هل كنا بحاجةٍ للوقوف أمام المرأة كأننا نغيظها،
كعصفورين اخترقا الغلاف الجوي بأجنحتهما الصغير!!
كان الـ (ديو) شبيهاً بالماء..
حين راهنتِ على فتحها
انسحب السكرُ من القنينة وتنازل عن كلِّ خصائصه،
نغطيّه بمنديلٍ كي ينسى هزيمته أمام غسلِ أصابعك
ثم نغمسه في الماء ليزوبَ
قبل أن تراوده كوايسُ قصب السكرِ..

ماذا ستعلميني اليوم؟
- سأعلمك رقصة زوربا..
ليت زوربا اللعين يعرف كم أنا مسكونٌ به..
زوربا نبي لم يتَّبعه أحد،
كان يخلق عالياً ليهرب من قومه..
يتعبَّدُ اللهَ بجبر الخواطر
لأنها رسالته التي لا يجيد سواها..

لا أستطيع النوم..
زوربا يرقص بداخل رأسي
وأنا ما زلتُ في أحد شوارع كندا
أتأملُ النادلَ
وهو يقوم بتكسير الصحون
كبديلٍ للإيقاع..

أصعد على سُلَّم موسيقيٍّ
صوب سماء تاسعة ما زالت تحت الإنشاء
بينما هي تؤدي رقصة زوربا..
كمن يرى من تحت الماء استدارة القمر
كنت أرى قاعَ قدميها..

نتبادل القُبل فثمرُ أشجار الرصيف،
يركضُ الموتى بداخل قبورهم
كما لو أنهم أجَنَّةٌ ينتظرون الحياة..
في القُبلَة الأخيرة
ثمة ميت جديد في المقبرة
يبحث عن مناديلٍ يمسح بها عرقه..

على باب المقبرة
يتوجه الموتى إلينا بالأسئلة كما لو أنهم صحفيون..
نتحدث عن عشوائيتهم
وعن قبورهم المهترئة كبيوت الإيجار
وعن طريقة كتابة أسمائهم على قبورهم بخطّ رديء،
عن التمييز في وضع شاهدين على قبر المرأة
وشاهد واحد على قبر الرجل،
كأنه ليس للذكر مثل حظّ الأنثيين!!

شواهد القبور تمدُّ أعناقها،
كأنها في الصف الأخير في سينما شعبية..
حارسُ المقبرة اعتقد أننا خرجنا لتوَّنا من قبر مؤثث
بالقصائد والفواكه العربية،
أما السيارة فقد كانت تخشى ألاَّ نعود
بعد أن وجدنا مكاناً يتسع لنا رغم فضول الأموات..

تتراحم القبور،
تتلامسُ دون أيَّة حميمية
كما لو أنها في حفلة تنكرية..

آخر ما أتذكره
أن المشييعين كانوا يكذبون كثيراً،
اللعنة عليكم أيها الأوغاد
لست أنا من تتحدثون عنه..
القصيدة محاسني الوحيدة التي لا يتحدث عنها أحد!!

مرتبك أنا وسط هذه الزفة
كفقيه وجد نفسه فجأة في بيت دعارة..
الن تأتي الملائكة لتحمل هذه الجنازة
من بين هؤلاء السفلة!!

سأخبرك كيف نمت دون وسادة في القبر
ودون ملابس داخلية..

عن إمكانية البقاء دون طعام وشراب،
عن جيران سيئين ضايقوني من اليوم الأول،
عن امرأة دفنوها بجواري دون أن يعرفوا بغيرتك،
عن حارس المقبرة المزعج الذي يضحك مثل كُفَّار
المسلسلات،

عن الحافلتين الواقفتين باب المقبرة..
الحافلة الخضراء ستذهب للجنة والأخرى إلى النار،
عن المتسولين الذين يسدُّون باب المقبرة
ويبتهجون بقدوم جنازة جديدة،
عن الرياحين التي يضعها الزوّار فوق قبور أحبائهم
ثم لا تلبث أن تتكدّس في جيوب الأطفال..

إلى الآن ما يزال قبري مجهولاً
لن يتبرَّك بقبري أحد
سوى بعض المغفلين
الذين يعتقدون أنني شاعرٌ كبير..

أريد أن أعود كما كنت،
قروياً يحتفل بانتهائه من "ربع يس"
ونصف عصا المدرّس الكفيف..
يسمع صوت العلكة
ويعرف هوية الأسنان التي تمضغها،

يمشي في طريق القرية الوعرة بخفة سيارة جديدة،
يتحسّس المفاتيح كلصّ متمرّس
ينفتح الباب بأول مفتاح مثل مغارة علي بابا،
يطوي عصاه السحرية
ويخلع نظارته الشمسية
كأن الظلّ لا يؤذي خُصرة عينيه المخيفتين..
في اليوم التالي،
يأتي وفي يده منديل يخبئ فيه البلغم،
ويضعه في جيبه بعناية
كمحفظة ميسورة..

أريد أن أستعيد جزء عمّ
ورُبّع يس..
أستعيد طفلاً أضعتُه في صنعاء،
حين رأى (الرُّوي)
وأثملته رائحة الخميرة لأول مرة،
حين رأى قنينة الماء
وعلى صدرها تاريخ انتهاء الصلاحية،
فتساءل:
هل ينتهي الماء!!

أحتاج إلى التخلص من كلّ الملفات المؤقتة
والبرامج الضارة في رأسي..
عقلي يقوم بعمليات عشوائية
فيملأ جمجمتي بالتفاهات والخيالات
التي لن أصرح بها أحداً
كي لا أسقط من نظره..

سينظرون إليّ بعيون مثقوبة،
وكأنهم ملائكة
لم تراودهم هذه التفاهات
والخيالات..

كلُّ شيءٍ يتحرَّكُ في هذه الليلة
كميَّتٍ يريدُ إقناعكُ بأنه يتنفَّسُ..
أنصتُ للجدرانِ وهي تحاولُ فضَّ نِزاعٍ
بين أحجارها العتيقة..
وأرى الزجاج يتلوَّن بعد أن تعب من الشفافية
التي يسمعها في خطابات الساسة..

يرعشني الخوفُ
فأغطي وجهي كي لا أرى الجنيَّةَ الشمطاءَ
التي تأخذ الأطفال الذين لا يستمعون لكلام أمهاتهم،
وأنسى أنني في السادسة والثلاثين!!

أتذكر عذاب القبر
فيمرُّ أمامي "غرانديزر" برزَّته المزدوجة وصحنه الدوَّار،
ويسألني "الدوق فليد" أسئلة
لا تمتُّ إلى أبجديتي بصلة..
كأن نهاية العالم
ستحقق من تحت هذا الغطاء الخائف
الذي أتدثَّر به
لأشعر ببعض الأمان..

الأشياء الجميلة تغيَّرت كثيراً،
حتى شراب السعال المرّ أصبح بنكهة الأناناس
لتوفير الكذبِ على الأمهات..

أبتسمُ لنفسي
والدنيا تنفخ في وجهي
كأنني شمعة تريد إطفاءها!!
كلُّ شيءٍ يدير لي ظهره،
كم أتَحَسَّرُ عليَّ..
سألبس أكفاني بجسدٍ طريٍّ ونفسي ذاويةٍ
قتلها الحنينُ منذ أزمنة بعيدة..

سأنقسمُ لأصيرَ اثنين..
سأكتفي بنصفي لأفعل به ما أشاء
فربما تحرَّرتُ من حصار نفسي لنفسي..

أقفلُ نشرة الأخبار
كي لا يسيل الدُم على شاشة التلفزيون..
الكاميرا تصوّر أحشاء الضحايا
وتدخل إلى أعماقهم
كي تؤكد لنا أنهم لا يتنفسون..

سأرسم على وجه القمر عينين جميلتين
ووجهاً مبتسماً،
وسأغسل يديَّ حين تمتلئان بالضوء..
سيعتقدون أنني نجمٌ،
وسيتحسّسون أيديهم خشية أن تملئ بالأنثايل..
لم يعد هناك بوصلة،
فقد تساوت الجهات..

تنويه..

- عبدالمجيد محمد أحمد التركي
- اليمن - صنعاء
- شاعر و كاتب وصحفي
- مواليد 1976م
- يعمل بصحيفة الثورة الرسمية.
- يعمل مشرفاً للمحق اليمن اليوم الثقافي.
- صدر له عام 2004م عن وزارة الثقافة مجموعة شعرية بعنوان (اعترافات مائية).
- عضو اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين
- انظر ترجمته في (موسوعة أعلام اليمن) على هذا الرابط:

<http://www.al-aalam.com/personinfo.asp?pid=16894>

- انظر ترجمته في (الموسوعة الكبرى للشعراء العرب)
- على هذا الرابط:

<http://www.saddana.com/mawsou3a/poets.php?maa=ViewPoet&id=499>

بريد إلكتروني:

Magid711761445@gmail.com